

كتب التراجم

تعريف كتب التراجم:

هي تلك الكتب التي تذكر سير المشهورين في ميادين النشاط الإنساني وهي عادة تترجم لذوى النباهة والعلم سواء أكانوا من العلماء أو الرؤساء أو ذوى الجاه أو ذوى الشهرة، وترتيبهم وفقاً لترتيب معين.

ولعل ميدان التراجم هو أرحب ميادين مراجع التراث وأكثرها ازدحاماً بالمؤلفات، فالإنسان هو سيد المخلوقات في هذا الكون وليس غريباً أن تكثر المؤلفات والمصنفات التي تتحدث عنه في كل زمان وفي كل مكان وفي كل مجال من مجالات المعرفة، وربما لم تظفر لغة من اللغات ولا حضارة من الحضارات بما ظفرت به الحضارة الإسلامية واللغة العربية من كتب التراجم، بل إن التراث في ميدان التراجم والسير يعتبر الأكبر بين أنواع التراث العربي.

نشأة كتب التراجم وتطور تاريخها:

عندما نزل القرآن الكريم واهتم العرب بدارسته ودراسة الحديث النبوي أيضاً بوصفه المصدر الثاني للتشريع انبثق من دراستهما علوم كثيرة كعلوم القرآن وعلوم السنة والفقہ والعقيدة وغيرها من العلوم الدينية.

وبعد الفتوحات الإسلامية واختلاط المسلمين من الشعوب ذوى الحضارات ظهرت علوم أخرى كالطب والفلسفة والرياضيات والفلك وغيرها وقد دعت الدقة في إقرار المبادئ والقواعد الدينية إلى معرفة سير الأشخاص الذين

كانوا يشتغلون بهذه العلوم وكانت تقتضى أيضاً تقصى أخبار هؤلاء المؤلفين للتأكد من صدقهم من ناحية وللإفادة من خبراتهم وتجاربهم من ناحية أخرى.

وقد كان من أوائل من عنى العرب بتسجيل سيرهم هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم فظهرت كتب السيرة النبوية والتي من أشهرها سيرة ابن اسحق وسيرة ابن هشام.

بعد ذلك توجه الاهتمام نحو تسجيل سير الصحابة، فظهرت الكثير من الكتب التي تناولت سير الصحابة ومنها:

- ١- الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠ هـ)، ويضم ٤٢٥٠ ترجمةً.
 - ٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، ويضم ٣٥٠٠ ترجمةً.
 - ٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، ويضم ٧٥٥٤ ترجمةً.
 - ٤- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ).
- بعد الترجمة لصحابه النبي صلى الله عليه وسلم ظهرت الكتب التي اهتمت بالترجمة للتابعين، والتي منها الطبقات الكبرى لابن سعد الذي اهتم بالترجمة للتابعين بعد الترجمة للصحابة.
- ثم توجه الاهتمام بعد ذلك نحو تسجيل سير من يشتغلون بالعلوم الدينية والعلوم اللغوية، وجرت العادة في ذلك الوقت على جعل هذه السير في مجموعات أو طبقات، فظهرت كتب الطبقات، وأقدم ما وصل إلينا منها طبقات ابن سعد (٢٣٠ هـ)، وكتاب الطبقات لابن خليفة خياط (٢٤٠ هـ).

يمكن تقسيم كتب الطبقات إلى:

١- طبقات القراء والمفسرين والمحدثين، مثل:

أ- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ).

ب- طبقات المفسرين للسيوطي (ت ٩١١هـ).

ج- الجرح والتعديل للرازي (ت ٣١٢هـ).

٢- طبقات اللغويين والنحاة:

أ- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي (ت ٣٧٩هـ).

ب- إنباه الرواه على أنباء النحاه للقطبي (ت ٦٤٦هـ).

ج- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (ت ٩١١هـ)

٣- طبقات الشعراء والأدباء:

أ- طبقات الشعراء الجاهلين والإسلاميين للجمحي (ت ٢٣١هـ).

ب- الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ).

ج- طبقات الشعراء لعبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ).

د- معجم الأدباء لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ).

٤- طبقات الفقهاء، مثل:

أ- طبقات الحنابلة لأبي الحسن محمد بن أبي يعلى (ت ٥٢٦هـ).

ب- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي

عياض (٤٧٦-٥٤٤هـ).

ج- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٧٢٧-٧٧١هـ).

د- تاج التراجم في طبقات الحنفية لزين العابدين ابن قطلوبغا (ت ٨٧٩هـ)

٥- طبقات الأطباء:

وعندما ازدهرت العلوم المختلفة الأخرى عند المسلمين، كالطب والرياضيات وغيرها، ظهرت الكتب التي تترجم لأصحاب هذه العلوم فظهرت طبقات الأطباء والحكماء، مثل:

أ- طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل (ت ٣٧٧هـ).

ب- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (٦٠٠-٦٦٨هـ)

ج- إخبار العلماء بأخبار الحكماء لعلى بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ).

أنواع كتب التراجم:

من خلال العرض السابق لنشأة كتب التراجم يمكننا القول إن كتب

التراجم تنقسم إلى:

أولاً: كتب التراجم العامة

وهي تلك الكتب التي لا تلتزم بعصر ولا بيئة ولا موضوع معين، وإنما تترجم للمشاهير في كل فن وعلم، وفي كل بقعة من بقاع الدولة الإسلامية حتى عصر المؤلف، من أمثلة التراجم العامة:

(١) كتب الوفيات:

(١) وفيات الأعيان: إنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ) وقد

جمع ابن خلكان في هذا الكتاب كل من اشتهر به بين أقرانه في جميع

الطوائف، فترجم للعلماء والشعراء والأدباء والملوك والأمراء وغيرهم، وقد جمع بن خلكان ٨٠٠ ترجمة، وقد غفل الكثير من الصحابة والتابعين.

(٢) فوات الوفيات لابن شاکر الکتبی (ت ٧٦٤) وقد جمع ابن شاکر نحو ٥٠٠ ترجمة ممن لم يذكرهم ابن خلكان معظمهم من الصحابة والتابعين.

(٣) الوافي بالوفيات للصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ) فيه ترجم الصفدي للمشهورين في كل علم وفن، وجمع فيه ١٤ ألف ترجمة في ثلاثين مجلد.

(٤) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، وهو أيضاً يعتبر تكملة وديلاً للوافي بالوفيات للصفدي من سنة ٦٥٠هـ إلى أواخر أيام ابن تغري بردي سنة ٨٧٤هـ، وهو يضم ثلاثة آلاف ترجمة.

كتب تراجم القرون:

إلى جانب هذه التراجم العامة المطلقة، هناك نوع آخر من كتب التراجم العامة إلا أنها مقيدة بزمن، وهي تعتبر امتداداً للتراجم العامة لأنها لا تتقيد برجال فن من الفنون أو إقليم من الأقاليم، وإنما تحد نفسها فقط من الناحية الزمنية فتقتصر على رجال قرن واحد.

فبعد أن توقف الصفدي في كتابة " الوافي بالوفيات " عند منتصف القرن الثامن الهجري، جاء ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) ليغطي تراجم رجال القرن الثامن الهجري بأكمله فألف " الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة " ومن بعده تتابعت كتب تراجم القرون، مثل:

(١) تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المسمى "الذيل على الروضتين" لأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ).

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).

(٣) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (ت ٩٠٢هـ).

(٤) الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة للغزي (ت ١٠٦١هـ).

(٥) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمد أمين المحبى (ت ١١١١هـ).

(٦) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادى (ت ١٢٠٦هـ).

(٧) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للبيطار (ت ١٣٣٥هـ).

(٨) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع عشر لعبد السلام بين عبد القادر بن سودة (ت ١٤٠٠هـ).

وهذه الكتب تتفق جميعها في أنها مصادر أصلية لتراجم رجالات القرون التي تغطيها، فقد أدرك مؤلفوها تلك القرون وعاصروا الكثير ممن ترجموا لهم.

ثانياً: التراجم المتخصصة

وهي تلك الكتب التي تترجم للشخصيات التي كانت لها شهرة في مجال من مجالات أو علم من العلوم، وقد ظهرت هذه النوعية في وقت مبكر، فقبل ان ينتصف القرن الثاني الهجري كتب ابن اسحق سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء من بعده ابن هشام (ت ٢١٨هـ) فهذبها وأذاعها بين الناس حتى أصبحت تعرف بسيرة بن هشام.

وبعد ظهور السيرة النبوية بدأت التأليف العربية في تراجم الصحابة والتابعين وتابعيهم ورواة الأحاديث والفقهاء والشعراء والأدباء و الأطباء وغيرهم، فظهرت كتب التراجم المتخصصة في المجالات الموضوعية المتنوعة مثل:

- ١- طبقات القراء لابن الجزرى.
- ٢- طبقات المفسرين للسيوطى.
- ٣- الجرح والتعديل للرازى.
- ٤- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي.
- ٥- إنباه الرواه على أنباء النحاة للقفطى.
- ٦- طبقات الشعراء لعبد الله بن معتر.
- ٩- الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى.
- ١٠- طبقات الحنابلة لابن أبى يعلى.
- ١١- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة.
- ١٢- طبقات الأطباء والحكماء لابن ججل.

نظم ترتيب كتب التراجم:

يمكن تقسيم نظم ترتيب كتب التراجم إلى قسمين رئيسيين.

القسم الأول: الترتيب البسيط

أي استخدام نظام واحد للترتيب، ويندرج تحت هذا القسم كتب تراجم القرون؛ إذ استخدمت هذه الكتب نظام الترتيب الهجائي الدقيق للشخصيات التي ترجمت لها، إلا إنه قد شذ عن هذه الكتب في التنظيم كتاب: "الكواكب

السائرة في أعيان المائة العاشرة " لأنه استخدم النظام المركب في تنظيم مواده، حيث قسم كتابه إلى ثلاث أقسام رتبها تاريخياً كما يلي: شخصيات الثلث الأول من القرن، ثم شخصيات الثلث الثاني من القرن وأخيراً القسم الثالث وخصصه لشخصيات الثلث الثالث من القرن، وداخل كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة رتب الشخصيات ترتيباً هجائياً وفقاً لأسمائها، باستثناء المحمدين (كل من اسمه محمد) الذي ابتداءً بهم الترتيب.

ومن أمثلة الكتب التي استخدمت الترتيب البسيط أيضاً " كتاب الوزراء والكتاب لابن عبدوس " الذي رتب كتابه ترتيباً زمنياً تاريخياً، حيث بدأ من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

القسم الثاني: الترتيب المركب

أي استخدام أكثر من نظام للترتيب، كاستخدامه للنظام التاريخي مع النظام الهجائي كما رأينا كتاب " الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة "، وقد سار على هذا النهج أيضاً كتب الوفيات الثلاثة (وفيات الأعيان، وفوات الوفيات والوفائي بالوفيات) إذ استخدمت سنة الوفاة كمدخل رئيس، وتحت كل سنة تذكر من توفوا في هذه السنة وفق الترتيب الهجائي.

وأما كتاب طبقات النحويين واللغويين للزبيدي فقد قسم كتابه إلى خمس أقسام رتبها جغرافياً كما يلي: البصريين والكوفيين والمصريين والقرويين والأندلسيين، وتحت كل قسم رتب علماءه ترتيباً زمنياً.

كما استخدمت بعض كتب التراجم أكثر من نظامين في ترتيب التراجم، مثل كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، إذ نجده يتناول أولاً سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة ثم التابعين، وهذا ترتيب تاريخي، ويفرد باباً لأهل

بدر، وبابا آخر لمن لم يشهد بدرا، وهذا تنظيم موضوعي، ثم يترجم لأهل المدينة ويترجم في قسم آخر للكوفيين، وقسم آخر للبصريين، وهذا تنظيم جغرافي، وفي كل قسم من أقسام الكتاب يرتب الأسماء ترتيباً هجائياً.

الخاتمة:

وهكذا فقد استعرضنا فيما سبق.

- ١- تعريف كتاب التراجم.
- ٢- نشأة كتب التراجم وتطور تاريخها.
- ٣- أنواع كتب التراجم
- ٤- نظم ترتيب كتب التراجم.

